الاتجاه القومي في التربية العربية

لو أن مؤرخاً أراد أن يكتب تاريخ حياتنا الحاضرة لما وجد فيها ظاهرة أدل على تطورنا من عناية الحكومات العربية المختلفة بنشر التعليم في جميع طبقات الشعب . فقد تنبه العرب في هذه الحقبة الأخيرة من الزمان لما أصابهم من ضعف فطفقوا يؤسسون المدارس ، وينشرون العلم ، ويضمون الى قديمهم ما جدّ من الحضارات ، ويوجهون مدنيتهم وجهة جديدة . وكلما رفع كابوس الاستعمار عن قطر من الأقطار العربية نهض أبناؤه يتلمسون وسائل المعرفة والقوة بإيمان وعزيمة ما كان يتأتى لهم تحقيقها في زمن استعبادهم . ذلك لأن ارتفاع كابوس الاستعباد يؤدي بطبيعة الحال الى تفجير القوى الكامنة في النفوس ، والى تيسير سبل المعرفة المؤدية الى رفع مستوى الشعب واستثمار أرض الوطن . فلا غرو إذا ازدادت عناية الأقطار العربية بنشر التعليم بازدياد تحررها ، ولا عجب أن يؤدي انتشار التعليم الى هذه النهضة المباركة التي نشاهدها اليوم في كل مكان .

لا أريد أن أتحدث الآن عن مبلغ انتشار التعليم في الأقطار العربية ، فهذا أمر قد تولته دوائر الإحصاء في وزارات المعارف وعملت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية على جمعه في حوليات خاصة . ومن راجع هذه الحوليات الثقافية وجد عدد تلاميذ المدارس في العالم العربي يزداد عاماً بعد عام ، حتى لقد أصبح عددهم الآن في بعض الأقطار العربية أكبر مما كان عليه قبل نصف قرن بمائتي مرة . ولو كان الغرض الذي أقصد اليه الآن غرضاً كمياً لعرضت على القارئ جداول الإحصاء ، ولرسمت له خطوطاً بيانية تدل على سرعة انتشار التعليم ، ولكنني كما قلت آنفاً لا أريد أن أتحدث الآن عن الناحية الكمية ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لعلي أنها لا تكشف عن جوهر التعليم ، ولاعتقادي أن الأساس في التعليم إنما هو نوعه وكيفيته لا مقداره وكميته . لذلك قصرت بحثي في هذا المقال على الناحية الروحية ، وأردت بالناحية الروحية الكلام على ماهية التعليم وحقيقته وعلى الاتجاهات الفكرية العامة المحيطة به .

إن لمعرفة هذه الاتجاهات العامة فائدة كبيرة ، لأنها تشعر القائمين على شؤون التربية بمقاصد أعمالهم وتعينهم على تنظيم الخطط والمناهج ، وتوجه سياسة التعليم توجيهاً صالحاً ، فلا ترتجل فيها الحلول ارتجالاً ، بل تنفذ وفقاً لخطة مرسومة وفكرة واضحة معلومة . أضف الى ذلك أن في البلاد العربية أنماطاً كثيرة من المدارس ، واتجاهاتها تختلف باختلاف نزعاتها ومذاهبها ، فاذا لم توجه أهدافها ، ولم تعمل على تخريج تلاميذ متجانسي العقائد ، متحدي الأفكار والعواطف ظلّ مثلنا الأعلى ممزقاً ، وشملنا شتيتاً مفرقاً ، ووحدتنا القومية مجزأة مبددة .

لذلك رأيت أن أتحدث عن اتجاهات التربية في العالم العربي ، لعلنا اذا استضأنا بنورها نستطيع أن نلم شعثنا ، ونؤلف من نزعاتنا الفردية المتفرقة روحاً كلية عامة ، فما هي اتجاهات التربية العربية ، لا بل ما هو المثل الأعلى لتربيتنا القومية ؟

لاشك أن للتربية العربية الحاضرة اتجاهات كثيرة كالاتجاه الفردي ، والاتجاه الاجتماعي ، والاتجاه الديموقراطي ، والاتجاه الوطني ، والاتجاه القومي والإنساني . ومن الصعب لا بل من المحال أن يحيط الباحث بجميع هذه الاتجاهات ، وان يوفيها حقها من البحث في مقال واحد . فلا بد لنا إذن من الاقتصار على اتجاه واحد وهو الاتجاه القومي وأثره في التربية العربية الحاضرة . وليس في هذا التحديد تضييق لنطاق البحث لأننا حينما نتكلم على الاتجاه القومي سنطلّ منه على الاتجاهات الأخرى . فما هو هذا الاتجاه القومي ، ما هي حقيقته ، وما هي غايته ؟

للجواب على هذا السؤال نقول أولاً إن الاتجاه القومي في اصطلاحنا هو اتجاه التربية الى تحقيق مبادئ القومية العربية . فما هي هذه المبادئ ، هل القومية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العربية مفهوم نظري مجرد ، أم هي حقيقة واقعية ، هل هي فكرة وأمل ، أم تجربة وعمل ، هل هي نزوع الى الماضي ، أم اتجاه الى المستقبل ، هل هي حقيقة ثابتة لا تتغير ، أم حقيقة متجددة ، هل هي إيمان عاطفي بكيان سياسي مستقل ، أم وثوق عقلي بكيان اجتماعي متكامل ، ثم ما هي العناصر التي تقوم عليها هذه القومية ، هل تقوم على وحدة اللغة والفكر ، والعقيدة ، أم تقوم على وحدة الجنس ، ووحدة المصالح الاقتصادية ، وبعبارة واحدة هل العروبة حفاظ عن مجتمع تقليدي راكد ، أم هي بعث وتجديد لمجتمع تقدمي متطور ؟

هذه أسئلة مختلفة تخطر ببال المفكر عند الكلام على القومية العربية ، فأنا لا أريد الآن أن أجيب عن كل واحد من هذه الأسئلة على حدته ، بل أريد أن أقول فيها قولاً عاماً ، وهو ان العروبة شيء من هذا كله ، فهي فكرة وعمل ، وعقيدة وأمل تجمع بين الاستمداد من الماضي والاقتباس من الحاضر والنزوع الى المستقبل ، لا بل هي حقيقة متجددة ، وإيمان عاطفي ، ووثوق عقلي ، وتقدمية ديموقراطية وإنسانية تقوم على وحدة اللغة والفكر ، ووحدة التاريخ والمصالح ، ووحدة المشاعر والمنازع . فالعروبة التي نؤمن بها ليست فلسفة قومية ضيقة ، ولا هي عقيدة اجتماعية مغلقة مؤلفة من الكره والبغضاء والتهديم والشر ، وإنما هي فلسفة اجتماعية مثالية ، لا بل فكرة تقدمية مؤلفة من الحب والإبداع والعدل والنظام والانتاج والخير ، من مقوماتها محبة الوطن العربي ، ومحبة الإنسانية جمعاء ، ومن سياستها العدل والانصاف داخل البلاد العربية وخارجها ، وغاية ما يرجوه العرب أن يسهموا في تقدم الحضارة ، وأن يتموا رسالتهم التي بدأوها في الماضي ، وأن يكملوا القيم الإنسانية بما يضيفونه اليها من انتاجهم الثقافي ، إذ الإنسانية المعذبة محتاجة اليوم إلى عقل موجه يستمد مفاهيمه من عبقريات جميع الأمم لا من أمة دون أخرى . وربما كانت الأمة العربية أكثر الأمم إيماناً بالسلام العام . فكما أنها لا تريد أن تعتدي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على غيرها ، كذلك تأبى أن يعتدي غيرها عليها . ومن واجب التربية العربية في هذه الحالة أن توقظ في التلاميذ العرب الشعور بالكرامة ، وأن تعدّهم لاسترداد حقهم المغصوب في فلسطين وغيرها . وهذا حق طبيعي لا يتهم المطالب به بأية رغبة في الاعتداء ، ولا بأيّ تنكر للسلام العام . قال رئيس الجمهورية السورية : « إننا نحمل أعباء رسالة قومية في هذا العالم هي في الصميم رسالة إنسانية ، مبعثها كل ما في ضمير هذا الشرق من أسمى مبادئ الدين القويم والخلق النبيل ، وليس في ديننا أو في أخلاقنا أو تقاليدنا إلا كل دعوة الى الخير والتسامح ، وعدم التفاضل بين الناس إلا بما يقدمون بين أيدي ربهم من حسنات . ونحن العرب نؤمن بحق تقرير المصير لجميع الشعوب الطامحة الى حياة الحرية والكرامة ، ونؤمن بأن لا سبيل الى سلام عادل في الأرض ، إلا إذا احترم الأقوياء هذا المبدأ الإنساني الرفيع . فصراعنا مع قوى الشر والبغي والعدوان أينما كان هو صراع قومي وإنساني معاً »(١) .

وقصارى القول ان فلسفة العروبة تدعو الى الاعتزاز بالماضي والعمل على إصلاح الحاضر والتطلع الى مستقبل فيه من عناصر الحضارة أروعها ، ومن العلوم والصناعات أقواها وأرسخها ، ومن الأخلاق الفاضلة أكملها . من مبادئها أن العرب في جميع أقطارهم يؤلفون أمة واحدة ، وان هذه الوحدة تقوم على وحدة المنازع والمشاعر ، ووحدة اللغة والتاريخ والثقافة ، ووحدة المصالح الاقتصادية وغيرها . ومن مبادئها أيضاً أن العروبة فكرة تقدمية تهدف الى إنشاء مجتمع متجدد يضمّ إلى محاسن القديم ما تجدّد من الحضارات وبهيّ لأفراده أمناً اجتماعياً وفردياً ، ويرفع مستوى حياتهم ، ويجهزهم بالعلم والصناعة ، ويقيم علاقاتهم على أساس العدل والمساواة والحرية والكرامة . فاذا شئنا أن يكون لتربيتنا الحديثة اتجاه قومي محقق وجب علينا أن نضمنها جميع هذه المبادئ ، بحيث تهيئ لنا جيلاً جديداً

(١) من خطاب رئيس الجمهورية السورية في عيد الجلاء يوم ١٧ نيسان ١٩٥٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عالماً بتاريخه معتزاً بماضيه ، مؤمناً بوحدته القومية ، مدركاً لواجباته ، مشبعاً بروح التضامن والأخوة بين جميع أبناء البلاد العربية ، مجهزاً بالمعرفة ، قادراً على استثمار ثروته الزراعية والمعدنية ، مؤمناً بالعدل الاجتماعي والحرية والكرامة الإنسانية .

وهنا نتساءل هل استطاعت التربية العربية الحاضرة أن تحقق هذا الاتجاه القومي ، أم هي لا تزال حتى الآن تخبط وتضطرب دون أن تهتدي الى أسلوب واحد يجمع شتات الأفكار والعواطف ويوحد المنازع والمشاعر ويوجه المواطن العربي الى غاية قومية واحدة . ذلك ما أريد الآن أن أستقصيه للاطلاع على ما بلغته تربيتنا القومية من تقدم نسبي في وسائلها وغاياتها .

لنستعرف أولاً ما تضمنته قوانين المعارف في بعض الدول العربية من الإشارة الى الأهداف القومية :

١ — لقد جاء في قانون المعارف السوري : « إن مهمة وزارة المعارف الأساسية هي تربية الجيل الجديد تربية صالحة من جميع الوجوه البدنية والخلقية والفكرية ، لينشأ كل فرد من أفراده قوي البدن ، حسن الخلق ، صحيح التفكير ، محباً لوطنه ، معتزاً بقوميته ، مدركاً لواجباته ، مزوداً بالمعلومات التي يحتاج اليها في حياته ، قادراً على خدمة بلاده بقواه العقلية والبدنية وبجهوده الانتاجية » ، وجاء في الدستور السوري ان التربية والتعليم حق لكل مواطن ، وان التعليم الابتدائي إلزامي ومجاني في مدارس الدولة وموحد البرامج ، وان التعليم الثانوي والمهني مجاني في مدارس الدولة ، وان التعليم الديني إلزامي في جميع المدارس لكل ديانة وفق عقائدها ، وان على الدولة أن تجعل أولية في موازنتها لنشر التعليم الابتدائي والريفي والمهني ، وتعميمه تحقيقاً للمساواة بين السوريين وإقامة للنهضة على أسس صحيحة ، وتسهيلاً لاستثمار أرض الوطن ، وإن التعليم يجب أن يهدف إلى إنشاء جيل قوي بجسمه وتفكيره ، مؤمن بالله ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

متحل بالأخلاق الفاضلة ، معتز بالتراث العربي ، مجهز بالمعرفة ، مدرك لواجباته وحقوقه ، عامل للمصلحة العامة ، مشبع بروح التضامن والأخوة بين جميع المواطنين ، وانه يجب على الدولة أن تعنى بتقوية الشخصية والحريات الأساسية ، وأن تنبني الحركة الرياضية والكشفية والفتوة في المدارس والجمعيات والأندية ، وأن تحمي العلوم والفنون وترعى تقدمها وانتشارها وتشجع على البحوث العلمية وتحمي الآثار والأماكن الأثرية ، والأشياء ذات القيمة الفنية والتاريخية والثقافية .

٢ — وجاء في قانون المعارف الأردني : « إن مهمة وزارة المعارف الأساسية هي إتاحة الفرص لتعليم الشعب وتربية شخصية المواطن وتنشئة جيل صحيح الجسم ، سليم العقيدة ، سديد التفكير ، قويم الخلق ، يدرك واجبه نحو الله والوطن ويتجه بالعمل لخير بلاده » . وفي الدستور الأردني مواد تؤيد هذه الأهداف وتتضمن مبدأين أساسيين هما القومية والديموقراطية . أما القومية فان الدستور الأردني يشير اليها بقوله إن المملكة الأردنية الهاشمية دولة عربية ، وإن الشعب الأردني جزء من الأمة العربية ، وأما الديموقراطية فتظهر في تصريح الدستور بأن الأردنيين أمام القانون سواء لا تمييز بينهم في الحقوق والواجبات فالتعليم الأردني يهدف بحسب هذه النصوص الى تربية الطفل تربية كاملة تجمع بين صحة الجسم وقوة التفكير ومتانة الخلق وسلامة العقيدة على أساس قومي ديموقراطي .

٣ — وجاء في أنظمة التعليم العراقية ان واجب وزارة المعارف تهيئة أمة صحيحة جسماً وعقلاً وخلقاً ، وأن هدف التعليم نشر الثقافة العامة في الجيل الناهض ، وتنشئة جيل مزود بما تتطلبه الحياة المدنية من معلومات عامة وتفكير صحيح وجسم قوي وأخلاق متينة وروحيات سامية وذوق سليم ويد عاملة وإخلاص وتضحية في سبيل الأمة والوطن . وإن على المدرس أن يوضح الروابط الجغرافية التي جعلت البلاد العربية وحدة متماسكة الأجزاء ، وكيف جاءت كلها متحدة في اللغة والثقافة ، وان عليه أيضاً أن يعود تلاميذه الاستقلال الذاتي في البحث

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والتتبع ، وأن ينمي الروح العلمية فيهم ، ويعودهم التفكير المنطقي والملاحظة والتجربة ، وأن يدعوهم الى الاهتمام باللغات الأجنبية ، وينشئهم على تحمل المسؤولية ، ويحبب اليهم المثل العليا الروحية والخلقية ، ويغرس فيهم حب الخدمة والتفاني في سبيل أبناء الشعب ، وأن يعمل على تنشيط أجسامهم وتقوية صحتهم ، وينمي فيهم الذوق الفني وجميع المواهب الخاصة التي تحبب اليهم مزاولة بعض الفنون . وجماع ذلك كله أن يعلم المدرس أنه مسؤول عن تنشئة شبان مزودين بأفضل ما يمكن أن تقدمه المدرسة من تربية وطنية وفكرية وروحية .

٤ — ومما جاء في دستور لبنان ان التعليم حر مالم يخل بالنظام العام ، وينافي الآداب ، ويتعرض لكرامة أحد الأديان والمذاهب . وان حقوق الطوائف من جهة إنشاء مدارسها الخاصة مكفولة على أن تسير وفقاً للأنظمة العامة التي تصدرها الدولة . وفي البرامج اللبنانية إشارة الى أن الغاية المثلى من التعليم هي إعداد الإنسان الحق والمواطن البصير والعضو العامل في المجتمع إعداداً يبدو في التربية الروحية والعقلية والجسدية . أما التربية الروحية فتقوم على تبيان فكرة الإله الخالق وعلاقته بالمخلوقات وعلى احترام الشخصية الانسانية ، وعلى الأخذ بتدرج القيم الصاعد من المادة الى العقل ، وعلى ضرورة التمرس بالفضائل السامية وتفهم حقوق الإنسان وواجباته . وأما التربية العقلية فتقوم على تعويد التلميذ صحة التفكير واستقامة القياس وقوة الملاحظة ودقة الانتباه . وأما التربية الجسدية فغايتها تقوية جسم التلميذ وتنميته على أسلوب رياضي يهدف الى الصحة والجمال . والحكومة اللبنانية تريد أن تربي النشء تربية وطنية صحيحة وأن توجهه توجيهاً صريحاً نحو الحرية والعزة والاستقلال ، وأن تعزز تدريس اللغة العربية في جميع المعاهد وفي جميع فروع العلوم وهي تريد أن تجعل التعليم موافقاً لوضع لبنان ومصلحته وحاجة أبنائه من جهة ومسايراً لحركة الثقافة العالمية من جهة أخرى ، ولذلك عنيت بالتنشئة الوطنية والبدنية والتربية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الخلقية والاجتماعية وباطلاع اللبناني على منافعه التاريخية دون ما تبجح أو تزيد فيعتز بماضيه ويفهم حاضره ويحفز لمستقبله ، ثم يعرف علاقاته باخوانه في الدول العربية فيقدر مركزه منهم ويقوم بواجباته نحوهم على حب وإخلاص يعززهما قيامهم نحوه بالواجبات نفسها .

٥ — ومما جاء في مناهج مصر ان غاية التعليم الابتدائي تثقيف أبناء الشعب تثقيفاً عاماً يعدهم للحياة القومية ويوثق الصلة بينهم وبين مجتمعهم ، ويهيئهم للحياة في البيئة التي يعيشون فيها ، ويفسح لهم مجال النمو الجسمي والعقلي والخلقي ، وأن غاية التعليم الثانوي تنمية ثقافة الطالب وتقويم فكره وتدقيق حسه وتدريبه على الإسهام في الأمور الاجتماعية وتزويده بشيء من الاختصاص العام الذي يعده للدراسة العالية . والغرض الأساسي من هذا التعليم تكوين المواطن المستنير الدائب النزوع الى تحسين الواقع وتربية شخصيته تربية كاملة من الناحية العقلية والخلقية والجسمية ، بل التعليم الثانوي الذي يقتصر على تزويد الطالب بالمعلومات لا يبلغ غايته ، لذلك يجب أن تتوفر فيه عوامل أخرى تعين على تكوين شخصية الطالب ، وتسمى هذه العوامل بالنشاط المدرسي . وتهدف فلسفة التخطيط في وزارة التربية والتعليم في مصر الى تحقيق مبدأين هما : (١) العدل الاجتماعي (٢) وتكافؤ الفرص . وتحقيق هذه الفلسفة يتطلب أمرين : الأول توسيع قاعدة التعليم وتدعيمها ، والمقصود من ذلك نشر التعليم الابتدائي في جميع طبقات الشعب وتوجيهه توجيهاً تقدمياً بجعل مناهجه تدور حول موضوعات اجتماعية واقتصادية ذات صلة مباشرة بحياة التلميذ وتكوين شخصيته . والثاني تنويع التعليم الثانوي وتوجيه التلاميذ الى أنواعه بحسب استعداداتهم حتى يكشف عن الصالحين للقيادة في الميادين المهنية والاقتصادية ، والعناية بالتعليم الفني حتى يحقق أهدافه الخاصة من تكوين أيد عاملة ماهرة مدربة منتجة . ومن المبادئ التي أعلنها مجلس الثورة في الدستور الجديد أن التعليم حر في حدود القانون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والنظام العام ، وانه حق للمصريين جميعاً ، وان الدولة تهتم بنمو الشباب البدني والعقلي والخلقي ، وان التعليم في جميع مراحله مجاني في الحدود التي ينظمها القانون . وهو في المرحلة الأولى إلزامي ومجاني معاً .

٦ — ومما جاء في أنظمة الكويت ان مرحلة التعليم الابتدائي تهدف الى تعريف التلميذ ببيئته وتصوير الحياة التي تحيط به ، والعناية بتنمية الاتجاهات والميول الضرورية لتربية المواطن المستنير السليم العقل والبدن ، وايجاد أفراد قادرين على الإسهام في نصيبهم من الحياة المتطورة مع الاحتفاظ بخير ما فيها وتحسينها ، وتحقيق المساواة والقضاء على الفوارق الاجتماعية ، والاهتمام بالنواحي القومية والاجتماعية والعلمية ، والعناية باللغة العربية والدين ومرونة المناهج وارتباطها بالبيئة الطبيعية والاجتماعية وعدم التفريق بين مناهج البنين والبنات . ومن أهداف المرحلة المتوسطة تزويد الشعب بقدر مشترك من الثقافة القومية عماده إتقان اللغة العربية والإلمام بلغة أجنبية والإحاطة بتاريخ العرب وجغرافية بلادهم ومعرفة شيء من مبادئ العلوم التي تقوم عليها حضارة عصرنا ، وإتمام الكشف عن الميول والمواهب لتوجيه التلاميذ الى ما يصلحون له والعمل على تربيتهم تربية خلقية واجتماعية باشراكهم في أوجه النشاط الاجتماعي والثقافي والعناية بأجسامهم بتشجيع الرياضة البدنية والحركة الكشفية . ومن أهم ما جاء في خطة الدراسة الثانوية إبراز الناحية القومية العربية في دروس التاريخ واعتبار كل حادث من أحداث التاريخ العربي في أي قطر من أقطار العروبة حلقة مكملة لباقي الحلقات لا انفصام بينها . والغرض من ذلك أن يتضح للطالب العربي ان هذه الرقعة الفسيحة التي تعيش فيها الأمة العربية هي وطن لا يتجزأ ، وتاريخها لا يتجزأ ، كذلك الحال في دروس الجغرافية فقد عنيت بابراز مقومات الوحدة العربية وأسسها التاريخية والجغرافية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٧ — ومما جاء في اتفاق الوحدة الثقافية المعقود بين مصر وسورية والأردن أن الدول المتعاقدة تتفق «على أن يكون هدف التربية والتعليم فيها بناء جيل عربي واع مستنير يؤمن بالله وبالوطن العربي ، ويثق بنفسه وأمته ، ويهدف للمثل العليا في السلوك الفردي والاجتماعي ، ويستمسك بمبادئ الحق والخير ، ويملك إرادة النضال المشترك وأسباب القوة والعمل الإيجابي ، متسلحاً بالعلم والخُلق لتثبيت مكانة الأمة العربية المجيدة وتأمين حقها في الحرية والأمن والحياة الكريمة» (المادة الأولى) .

٨ — وأحسن ما يتجلى هذا الاتجاه القومي في الأسس العامة التي وضعها المؤتمر الثقافي العربي الأول ، فقد جاء في هذه الأسس أن التربية الوطنية في البلدان العربية يجب أن تهدف الى ما يلي :

أولاً : إبراز الاتصال الجغرافي التام بين البلدان العربية في قارتي آسية وافريقية .

ثانياً : العناية باظهار أن هذه البلدان كانت مهداً لأقدم حضارات العالم وانها قدمت للحضارة العالمية أجل الخدمات .

ثالثاً : إبراز الاشتراك التاريخي بين هذه البلدان . ففي العصور القديمة كانت تربطها أوثق الصلات ، وكانت بعد ذلك خلال حقبة طويلة من الزمان وحدة سياسية تضمها امبراطورية عظيمة . كما ظلت في العصور الأخيرة مرتبطة بروابط قوية .

رابعاً : توكيد أن العروبة لم تكن في الماضي ولا في الحاضر مقصورة على طائفة من الطوائف أو دين من الأديان ، وان التعاون بين المواطنين العرب على تفاوت أديانهم كان قوياً في الماضي كما كان كذلك في النهضة العربية الحديثة .

خامساً : بيان أن التطور العالمي سائر نحو التكتل والاتحاد ، وان جامعة الدول العربية مظهر من مظاهر هذا التطور وليس معنى التكتل فقدان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

شخصية الأجزاء المكونة له ، وانما المقصود منه أن تكون لهذه البلدان خطط مرسومة تنسق فيها جهودها لتحقيق الأهداف المشتركة .

سادساً : بيان ان الاستقلال حق طبيعي للشعوب ، وان الاستعمار ضرب من الرق يجب القضاء عليه .

سابعاً : توكيد ان النظام الديموقراطي الصحيح أكفل الأنظمة لضمان الحرية والعدالة والمساواة ، وإتاحة الفرص المتكافئة للجميع ، والعمل على اتخاذ الروح الديموقراطية الصحيحة عقيدة راسخة في نفوس النشء .

* * *

هذا ما رأيت أن أذكره من أهداف التربية العربية المنصوصة في النظم والقوانين . وما ذكرت منها الا القليل ، لأن الكلام على ذلك لا يمكن استقصاؤه في مقال واحد . ونظرة سريعة الى ما جاء في هذه النصوص تكفي للاطلاع على الفلسفة التربوية التي تضمنتها ، فما هي هذه الفلسفة ، هل هي فلسفة تجريبية الى فلسفة عقلية ، أم فلسفة ذرائعية نفعية . اننا لا نستطيع الآن أن نجيب عن هذا السؤال بوضوح تام ، ولكننا نستطيع أن نستنبط من القوانين والنظم بعض الأسس الفلسفية العامة التي بنيت عليها تربيتنا القومية .

الأساس الأول هو إعداد الطفل للحياة الكاملة . فان التربية في نظرنا لا تبلغ غايتها إلا إذا عملت على إعداد الإنسان الحق . وهذا الانسان الحق لا يكون كاملاً إلا كان قوي البدن ، حسن الأخلاق ، صحيح التفكير . وفي هذا الجمع بين تربية البدن وتربية العقل وتربية الأخلاق شاهد صادق على أن الانسان الكامل في نظرنا هو الذي يعتقد أن الخير في الوجود غالب على الشر ، وان سعادة الآخرة متوقفة على سعادة الدنيا ، وان للمعرفة بذاتها قيمة مطلقة ، وان هنالك بالإضافة الى القيم العقلية قيماً روحية ودينية لا يجمع الإنسان بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة إلا بالمحافظة عليها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والأساس الثاني الذي نستند اليه في تربيتنا القومية هو الأساس الديموقراطي . إن للديموقراطية ثلاثة مبادئ وهي مبدأ سيادة الشعب ، ومبدأ المساواة ، ومبدأ الحرية الفردية . وهذه المبادئ الثلاثة مذكورة في أكثر دساتير البلاد العربية . فالسيادة للشعب لا يجوز لفرد أو جماعة ادعاؤها ، والمواطنون متساوون جميعاً أمام القانون في الواجبات والحقوق وفي الكرامة والمنزلة الاجتماعية ، والدولة تكفل الحرية والطمأنينة وتكافؤ الفرص لجميع المواطنين . وقد أدى تطبيق هذا المبدأ الديموقراطي الى إقرار إلزامية التعليم ومجانيته والى الأخذ بحرية التعليم والعمل على توحيد مناهجه . اننا نؤمن بالمساواة ونعتقد أن الطبيعة الإنسانية واحدة في جميع أفراد النوع البشري ، لا بل إن مبدأ المساواة بين جميع المؤمنين مقرر في التربية الإسلامية القديمة (إنما المؤمنون إخوة) ، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى . والدليل على ذلك أن المعاهد التي أسسها المسلمون في الماضي لم تفرق بين الغني والفقير ، ولا بين أبناء الطبقات العالية والطبقات الفقيرة ، بل كانت معاهد مجانية يؤمها الطلاب من كل حدب وصوب ، ويجدون فيها كل عون مادي . فلا غرو إذا نادينا اليوم بمبدأ المساواة في التربية وجعلنا التعليم إلزامياً ومجانياً .

والأساس الثالث الذي نستند اليه في تربيتنا هو الأساس القومي . إننا نريد أن ننشئ جيلاً جديداً معتزاً بقوميته فلا يدرس تاريخ حضارته القديمة إلا ليستمد منها قبساً روحية تحفزه الى المستقبل وتدفعه الى استعادة مكانته بين الأمم ، ولا يدرس جغرافية البلاد العربية إلا ليطلع على عوامل الوحدة التي جعلت منها وطناً واحداً ، بل الدروس التي يتلقاها الطالب في جميع مراحل التعليم يجب أن تعمل على إيقاظ وعيه القومي ، وإشعاره بأن العربي أخو العربي أحب أم كره ، وان المصلحة القومية العليا فوق المصالح الاقليمية والطائفية ، وان القومية العربية حقيقة لا ريب فيها ، وان الاستعمار ضرب من الرق يجب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

القضاء عليه ، وانه ينبغي لجميع الأقطار العربية أن تتضامن وتتعاون لتحرير البلدان العربية التي لا تزال واقعة تحت نيره ، وانه ينبغي للمجتمع العربي أن يصبح مجتمعاً متجدداً يضمن لأفراده مستوى كريماً من العيش ، ويكفل لهم أمناً اجتماعياً وفردياً ، ويحقق لهم الحرية والعدالة والمساواة . ويحررهم من الفقر والمرض والجهل ، على أساس ديموقراطي يتيح الفرص المتكافئة للجميع دون أي تمييز بين الطبقات والمذاهب .

وفي مبادئنا التربوية أسس كثيرة غير هذه كالدعوة الى الوطنية الصحيحة ، والدعوة الى الخير والإنسانية والتسامح ، والدعوة الى تقديس القيم الروحية والايمان بالعلم والتقدم والتفاؤل ، والدعوة الى استثمار أرض الوطن ، وتنمية الانتاج القومي ؛ وتقوية الروابط الاجتماعية ، ولو مضيت أعدد ما اشتملت عليه نظمنا التربوية من مبادئ مثالية لكتبت في ذلك أوراقاً كثيرة ، فلنقتصر إذن على هذا القدر الذي ذكرناه ، ولنتساءل الآن هل استطعنا أن نحقق هذه المبادئ في تربيتنا الواقعية ، هل أنشأنا كما تقول أنظمتنا جيلاً جديداً قوياً بجسمه وتفكيره ، متحلياً بالأخلاق الفاضلة ، معتزاً بالتراث العربي ، مجهزاً بالمعرفة ، مدركاً لحقوقه وواجباته ، عاملاً للمصلحة العامة ، مشبعاً بروح التضامن والاخوة بين جميع المواطنين ؟

للجواب على هذا السؤال أقول إن التربية العربية لم تبلغ بعد غايتها بالرغم من التقدم النسبي الذي أحرزته حتى الآن ، وذلك لأسباب كثيرة منها حداثة النهضة في البلدان العربية ، واضطرارنا الى تعبئة جميع قوانا لمكافحة الاستعمار ، وعدم نمو الحياة الاقتصادية في جميع الأقطار العربية في وزن واحد من الاتساق ، وازدياد الاضطراب السياسي والاجتماعي ، وميلنا الى تقليد الحضارة الأوربية دون أن نوفق بينها وبين حاجاتنا القومية . فنحن لا نزال حتى الآن أمام مشكلات اقتصادية كثيرة ومشكلات اجتماعية وصحية كثيرة ، ومشكلات سياسية وإدارية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كثيرة ، لم نتغلب عليها لقلة تعاوننا ، وضآلة مواردنا ، وعجز وسائلنا . فلا غرو إذا ظلت تربيتنا الواقعية حتى الآن بعيدة عن الغايات السامية التي أشارت إليها نظمنا وقوانيننا ومناهجنا . ونظرة واحدة الى أوضاعنا الراهنة تكفي لإبراز ما انطوت عليه تربيتنا القومية من نقص ، وها أنا ذا أعرض على القارئ بعض هذه النقائص على سبيل المثال لعلنا إذا أدركنا أسبابها وعواملها نستطيع أن نتجنبها ونهيئ أسباب الإصلاح الذي نرجوه لأمتنا .

أولاً — ان تربيتنا القومية لم تبن على فلسفة قومية واضحة في الأذهان ولم تستمد من فكرة معينة أو غاية محددة . وانما نظمت في أدوار متعاقبة سيطر عليها التقليد حيناً وحب التجديد حيناً آخر دون أن تبنى على تجارب نفسية ودراسات اجتماعية مستمدة من تاريخنا وحاجاتنا . ان للحركات القومية في بلاد الغرب أئمة يبحثون في عناصر القومية ومميزاتها ووسائلها وغاياتها . ولبحوثهم النظرية أثر في توضيح غايات التربية وتحديد وسائلها . فاذا شئنا أن نبني جهادنا القومي على أساس واضح وجب علينا أن ننشيء لأنفسنا فلسفة قومية مستمدة من تراثنا الثقافي وحاجاتنا المتجددة ، وأن نهتدي في تربيتنا بهدي هذه الفلسفة فنوازن بين القوى الفاعلة والمنفعلة ونعمل على توجيه منازعنا الجنسية ومشاعرنا الدينية والاقليمية وآمالنا القومية الى غاية واحدة . إننا لا نستطيع أن نربي أولادنا كما كان أجدادنا يربون أولادهم في العصر العباسي أو العصر الفاطمي ، ولو فعلنا ذلك لأنشأنا جيلاً لا يصلح للحياة في القرن العشرين ، وكذلك لا نستطيع أن نربي أولادنا كما يربي البريطانيون أو الفرنسيون أو الأميركيون أولادهم . إن الزيتون لا ينبت إلا في المناطق المعتدلة واذا زرعته في منطقة باردة يبس وألقي في النار ، فالمثل الأعلى الذي يجب علينا أن ننسج على منواله في تربيتنا القومية إنما هو مثل أعلى جديد متصل بماضينا ومبني في الوقت نفسه على حاجاتنا وآمالنا ومنازعنا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثانياً — إن فلسفتنا القومية لا تزال حتى الآن مصطبغة بصبغة عاطفية تجعلنا نستمد تفكيرنا من القلب والعاطفه أكثر مما نستمده من العقل والنظر . وهذا الاعتماد على إلهام العواطف يجعل تفكيرنا القومي ذاتياً ، فاذا أحببنا أمراً من الأمور عددناه حقاً ودينا ، وإذا كرهناه عددناه باطلاً وكفراً ، وكثيراً ما نزن الأشياء بميزان شخصي ، فنؤخذ بالعاطفة ، ونطلق حكمنا على كل شيء حتى لو كانت الأشياء التي يشملها ذلك الحكم قليلة التشابه ، تؤثر فينا الحماسة السريعة الزوال أكثر مما يؤثر فينا الهوى العميق الثابت . ومع أننا نعلم ان المرء يساق بالغريزة الى الموت وبالعقل الى الحياة ، فإنّ سلوكنا الفردي والاجتماعي لا يزال في كثير من مواقفنا القومية مبنياً على العاطفة والغريزة . والسبب في طغيان العاطفة على سلوكنا قلة عنايتنا بالتربية العقلية المبنية على العلم والتجربة . فينشأ طلابنا أميل الى البلاغة والخطابة منهم الى المنطق والنظر . فاذا كتبوا أو تكلموا استمدوا تفكيرهم من عواطفهم ، واذا كذبتهم الحوادث تعصبوا لرأيهم ، كأنّ الوجود كله مصبوغ بعواطفهم ، وكأن العاطفة عندهم معيار الوجود ، وكثيراً ما ينكرون الحقائق ويصدقون إلهامهم ، أو يخضعون الطبيعة لتصوراتهم بدلاً من أن يخضعوا تصوراتهم للطبيعة . فمن الواجب على المربي العربي أن يعمل على مكافحة هذا الاتجاه فيعوّد طلابه تفضيل حاكم العقل على حاكم القلب ، ويبعدهم عن التعصب الفكري ، ويكسبهم روح النقد فلا يصدقون أمراً إلا إذا استطاعوا أن يؤيدوه بالحجج العقلية والدلائل البرهانية ، ولا يقدمون على أمر إلا إذا أعدوا له العدة الكافية ونظموه وخططوه على أساس عقلي .

ثالثاً — ومن خصائص اتجاهنا القومي الاعتزاز بالماضي . لقد قلنا إنّ من أهداف التعليم في البلدان العربية إنشاء جيل معتز بماضيه ، معتز بتراثه العربي . فنحن نعلم حق العلم ان أجدادنا لعبوا في تاريخ الحضارة دوراً هاماً فنقلوا علوم اليونان الى اللغة العربية ثم نقلوا هذه العلوم الى أوروبة يوم كانت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تتخبط في الظلمات . ونعلم حق العلم ان بلادنا كانت مهداً للنبوات ، وملتقى للحضارات ومقراً لامبراطورية عظيمة امتد سلطانها من أقصى الشرق الى أقصى الغرب . فلا عجب بعد هذا أن نحرص على إحياء تراثنا القديم وأن نفتخر بأجدادنا ونمجد أعمالهم ونعتز بهم . ولكن العجب أن نعيش في ماضينا ولا نعمل على تبديل حاضرنا . ان الافتخار بمآثر الأجداد ضروري جداً لإحياء الوعي القومي ، وإعادة الثقة بالنفس الى الجيل الجديد وحمله على الأخذ بما أخذ به السلف الصالح من عادات الايمان والصبر والإقدام والإخلاص والمروءة . ولكن اتجاهنا الى الماضي قد يبعدنا عن المستقبل ويمنعنا من مسايرة ركب الحضارة . وفرق بين أن يقف الانسان من ماضيه موقفاً سلبياً منفعلاً ، وبين أن يقف منه موقفاً إيجابياً فاعلاً . إن الموقف السلبي المنفعل لا يفجر مكامن القوة في نفوسنا بل يقتصر على إيقاظ شعورنا بمآثر أجدادنا فنظن أن ما فعلوه في الماضي كافٍ لنا في أيامنا هذه ، وأي فخر لنا إذا قلنا كان آباؤنا ، ولم نقل ها نحن أولاء ، ألا يصدق علينا في هذه الحالة قول الشاعر :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

لذلك كان من الواجب علينا أن نقف من حضارتنا القديمة موقفاً إيجابياً فاعلاً ، ونعني بهذا الموقف أن يكون شعورنا بمآثر أجدادنا حافزاً لنا على إكمال رسالتهم الخالدة بما نضمه الى قديمنا من جديد . فكما أنه ليس في مكنتنا أن نقطع صلتنا بماضينا . كذلك ليس في مقدورنا أن نتجاهل التطور الذي حدث في العالم وليس المعول في ذلك على إحياء الماضي ، بل المعول على الاستمداد من الماضي في سبيل إحياء الحاضر . والسبيل الى ذلك أن نضم الى هذا الماضي ما جد من الحضارات ، وأن يكون هذا الجديد الذي نضمه اليه ملائماً لمزاجنا الثقافي ولمشاعرنا ومنازعنا القومية :

وخير الناس ذو حسب قديم أقام لنفسه حسباً جديداً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

رابعاً — ومن صفاتنا في العمل القومي الاعتماد على الأساليب السلبية . لقد تعودنا هذه الطريقة السلبية خلال نضالنا القومي ضد الاستعمار ، لأننا كنا نرفض التعاون مع المستعمرين ونقف منهم موقفاً سلبياً ، فأدّت سياسة اللاتعاون هذه الى تقلص ظل الاستعمار عن ربوعنا ، وصار البطل كل البطل من يقول للمستعمرين (لا) ، والنذل كل النذل من يقول لهم (نعم) . ومع أن شاعرنا يقول :

حسن قول نعم من بعد لا وقبيح قول لا بعد نعم

فنحن لا نزال نقول (لا) في كل قضية من القضايا العامة ، والناس لم يغيروا اليوم هذا الموقف السلبي الذي تعودوه في زمن الاستعمار ، واذا غيروه بالنسبة الى مشاعرهم ومنازعهم فانهم لم يستطيعوا التغلب عليه في تنظيم الأعمال العامة التي تتطلب تعاوناً ايجابياً بين الأفراد . فظل العربي سلبياً في وطنيته ، سلبياً في قوميته ، سلبياً في تضامنه وتعاونه مع أبناء وطنه . والدليل على ذلك أن المواطن العربي لا يزال حتى الآن حريصاً على أن يختص بالشيء من دون جميع المواطنين فلا ينسبه إلا إلى نفسه ، فهو فردي في أسرته ، فردي في مهنته ، فردي في حزبه وطائفته ، فلا تذوب إرادته في الإرادة العامة ، ولا ينخرط في كتلة أو جمعية إلا إذا اعتقد أن له فيها منفعة ، ومتى تمّ انضمامه اليها حاول أن يكون مستقلاً عن المجموع . لذلك كان أول واجبات المربي العربي أن يحارب هذه الفردية السلبية ، وان يكسب طلابه روح التضامن والتعاون ، وأن يعودهم العمل الجماعي المشترك حتى يصبحوا كتلة واحدة ذات إرادة واحدة .

خامساً — إن نمو الوعي القومي في أمة من الأمم يفرض على أبنائها أن يكونوا مدركين لحقوقهم وواجباتهم معاً . فاذا أدركوا حقوقهم ولم يدركوا واجباتهم لم تكمل لهم شروط الوعي المطلوب . هل استطاعت تربيتنا الحديثة أن تنشئ جيلاً متصفاً بهذه الصفات ، انني أجيب عن هذا السؤال والألم يحز قلبي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بأن الجيل الجديد الذي تخرّج على أيدينا أميل الى المطالبة بحقوقه منه الى القيام بواجباته . فهو جيل واعٍ مدرك لحقوقه إدراكاً تاماً ، ولكن إدراكه لواجباته لا يزال ناقصاً . وهب أنه أدرك واجباته فإنّ ميله إلى القيام بها أضعف من ميله الى المطالبة بحقوقه ، فاذا سأل عن حقه ألحف ، وإذا سئل عن واجبه سوّف ، وهذا نقص عظيم لا تبلغ تربيتنا القومية غايتها إلا بتلافيه . والسبيل إلى ذلك أن نعوّد طلابنا تقديس واجباتهم وأن نمرنهم على القيام بها في نظام ومحبة وإخلاص ، فلا يفرطون في شيء مما تقتضيه المصلحة العامة ولا يضحون بحقوق غيرهم في سبيل مصالحهم الفردية بل يعملون في نظام أساسه التقدم وسبيله الإخلاص والتعاون والحب .

سادساً — ومن خصائص اتجاهنا القومي أنه لا يزال اتجاهاً نظرياً غير منطبق على الواقع النفسي والاجتماعي إننا نتكلم عن القومية والإنسانية والحرية والعدل والمساواة والديموقراطية والسلام والتقدم وغيرها دون أن يكون لهذه الألفاظ في أذهاننا مدلول واضح . إن معاني هذه الألفاظ تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وما يسميه الغرب حرية يعده الشرق استعباداً ، وما يسميه المستعمرون عدلاً يسميه العرب ظلماً وعدواناً ، لا شك أن لهذه الألفاظ معنى مثالياً يصدق على كل زمان ومكان ولكن مدلولها الواقعي يختلف باختلاف الأمم . فما هو معنى هذه الألفاظ عندنا . هل الحرية أن يفعل الإنسان ما يشاء ، أم أن يفعل ما تسمح به القوانين . وإذا كانت الحرية تابعة للقانون فما هي القوانين التي تضمن للعرب حق التمتع بحرياتهم الأساسية . لقد اخترنا أكثر قوانيننا عن الغرب دون أن نلائم بينها وبين منازعنا القومية ، فاذا كان مفهوم الحرية أن يفعل الإنسان ما يأمر به القانون ، وكان القانون غير ملائم لمنازع الشعب لم يكن هنالك حرية حقيقية . هذا كله يدل على أن المفاهيم السياسية والخلقية التي تضمنها اتجاهنا القومي لا تزال حتى الآن مفاهيم نظرية مستعارة بعيدة عن الواقع العربي . ومن واجب التربية العربية أن توضح هذه المفاهيم وأن تجعل الشعور العربي المحيط بها مبنياً على المزايا التاريخية والخصائص النفسية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والاجتماعية لا على التقليد الأعمى . ولا يكفي أن نقول في دساتيرنا يجب أن تهدف التربية الى تقوية الحريات الأساسية . بل يجب أن نعرّف قبل كل شيء الحريات الملائمة للمجتمع العربي المتجدد ، ما هي شروطها ، وما هي حدودها ، وما هي طبيعة القوانين المحيطة بها .

سابعاً — ومن خصائص تربيتنا القومية عدم ملاءمتها لحاجات الإنتاج ، فهي لم توجه التعليم نحو الحاجات الاقتصادية التي تجمع بين استثمار موارد الطبيعة وتنمية الصناعة وتحسين مستوى الحياة ، ولم تهيء لنا المواطن المنتج القادر على استثمار ثروته الزراعية والمعدنية ، ان الذين يقصرون عملهم التربوي على إنماء الوعي القومي المجرد دون أن يربطوا بينه وبين نمو الانتاج لا يزالون متأخرين على زمانهم ، لأن القول باحياء الوعي القومي قد أصبح الآن من الأمور البديهية التي لا تحتاج الى برهان . ولكن الأمر الذي لم يصبح بعد بديهياً هو أن العروبة لا تتغذى بالعواطف والأحلام والآمال ، وإنما تتغذى بنمو الثقافة العقلية وتوجيه التعليم نحو الانتاج الاقتصادي ، بل التعليم الذي لا يكون عاملاً أساسياً في الانتاج القومي لا يبلغ غايته . إننا لا نزال نستعين بالخبراء الأجانب لإنعاش زراعتنا وتنمية صناعتنا ، وإنشاء مرافئنا ، واستثمار ثروتنا المعدنية وتنظيم اقتصادنا . مع أن الاستقلال السياسي الذي لا يستند إلى أساس اقتصادي ثابت إنما هو استقلال وهمي ، فاذا شئنا أن نكون أمة حية قوية وجب علينا أن نعنى بالتعليم الفني وأن نربط التربية بالانتاج القومي ، وأن نضع للتعليم تخطيطاً موافقاً لتخطيط الإنتاج ، فإن الإنتاج لا ينمو إلا إذا كان التعليم موافقاً لحاجات البلاد النفسية والاجتماعية والمادية ، وكل تعليم لا يهدف إلى تلبية حاجات الإنتاج القومي مقصر عن غايته .

ثامناً وأخيراً — من خصائص تربيتنا القومية استنادها إلى مبدأ الثقافة الصورية والتدريب الصوري ، وقوام هذا المبدأ أن القوى العقلية التي ينميها علم خاص يمكن أن تنشط نشاطاً عاماً نستطيع معه استخدامها في جميع العلوم الأخرى . كأن القوى العقلية أسلحة تشحذ بالتمرين حتى تصلح لقطع كل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

شيء ، أو كأنها عضلات تنمو بالرياضة أو ضرع يقوى بالامتراء دون أن يكون بينه وبين العوامل الخارجية أي رابط حيوي أو وظيفي . فكأن واضعي المناهج يعتقدون أن كل علم ينمي ملكة خاصة ، فالحساب للتفكير ، ومبادئ العلوم للملاحظة والمحفوظات للذاكرة . فاذا أصبحت هذه الملكات قوية بالتمرين أمكن استخدامها في كل شيء . ولا يشترط في هذا التمرين أن يشعر الطالب بميل إلى موضوعه ، بل كلما كان ميله اليه أقل كانت قيمته في التثقيف الصوري أعظم . لا جرم أن في هذا النمط من التعليم رياضةً عقلية ترفع المتعلم من أفق المنفعة الضيق الى أفق التجريد الواسع . ولكن هذه الرياضة على ما فيها من جهد فكري ، لا تنفع الطالب في حياته العملية ، لأنها تطلب منه أن يعمل للعمل نفسه لا للنتائج اللازمة عنه ، ولأن العلوم التي ثقفها وبرع فيها دون أن يطبقها عملياً لا تزيده عن الحياة إلا بعداً ، وكثيراً ما نجده عاجزاً عن قياس مساحة أرضه أو حساب أرباحه أو معرفة نباتات حديقته لا لجهله بالهندسة أو الحساب أو علم النبات ، بل لبعد المسافة بين علمه النظري وحياته العمليه .

★ ★ ★

هذه بعض عيوب تربيتنا القومية ذكرتها هنا على سبيل الاختصار . واذا كان لي في نهاية هذا البحث أن أجمل ما ذكرت قلت إن التربية العربية يجب أن تهدف قبل كل شيء الى تنمية الوعي القومي في نفوس الأفراد ، ونعني بهذا الوعي القومي تنمية شخصية الفرد ، وتحريره من الفقر والمرض والهوى واللذات الرخيصة ، وتعويده الروح الانتقادية ، والتفكير المنطقي وتجهيزه بالعلم والفن ، وإشباعه من روح التضامن والتعاون ، وحمله على تفضيل المصلحة العامة على المصلحة الفردية ، ودعوته الى الإسهام الايجابي في كل عمل وطني ، وإشعاره بكيانه ومنزلته وكرامته ، وإيقاظ شعوره بالقومية العربية ، وبوحدة العرب في جميع أقطارهم ، وتنمية ثقافته العقلية ، وتعويده الاغتباط بالعمل وأداء الواجب والإقدام والاعتماد على النفس والكد لمصلحة المجموع . ولا يكفي لتحقيق ذلك أن تكتب الدساتير وتوضع القوانين والمناهج وتؤلف الكتب وتنظم الامتحانات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتمنح الشهادات ، فقد يتم هذا كله على أحسن وجه دون أن يؤدي الى تثقيف أبناء الشعب تثقيفاً حقيقياً ، وأي خير يرجى من أهداف قومية تكتب في الدساتير والقوانين ولا تطبق بالفعل ، لا بل أي نفع يؤمل من تعليم مدرسي لا يهيئ المواطن المنتج ، فقد ترتقي النظم التربوية ولا ترتقي الثقافة ، وقد تكون الثقافة راقية في أمة من الأمم دون أن تكون مناهجها المدرسية كاملة ، وكذلك الوعي القومي قد يكون شديداً في نفوس الأفراد دون أن يكون في القوانين والدساتير أية اشارة واضحة اليه . ومن واجب الحكومات العربية أن لا تقتصر في احياء الوعي القومي على التعليم في المدارس ، وانما يجب عليها أن تعمل على نشره واحيائه بتنظيم الثقافة الشعبية وتوجيه الصحافة والإذاعة ، والإشراف على الحياة الرياضية والكشفية والثقافية والفنية في الجمعيات والأندية . والمعول في ذلك كله على المعلم الذي ينفذ لا على المناهج الخرساء التي تخطط وترسم . ومتى صلح المعلم صلح كل شيء ، ومتى فسد فسد كل شيء . بل المعلم الصالح هو نقطة الارتكاز في كل اصلاح تربوي ، ومن شرط المعلم أن يكون محباً لتلاميذه ، مؤمناً برسالته القومية . ومن كان معلماً ولم يكن مؤمناً برسالته كان ضرره أشد من نفعه . وأعتقد أن الوسيلة الوحيدة لإحياء الوعي القومي واصلاح التربية العربية هي الإكثار من دور المعلمين والمعلمات ، التي تخرج قادة التربية ، وللمعلمة العربية في هذا البعث القومي واجب أبلغ من واجب المعلم . لقد انتصرت ألمانيا كما قال بسمارك بمعلميها ومعلماتها لا بضباطها وجنودها ، ولولا الإيمان القومي الذي نشره المعلمون والمعلمات في العالم العربي الحديث لما تحررنا من نير الاستعمار . وما قام به هؤلاء القادة حتى الآن من جهد في الميدان القومي يقوي أملنا بأن هلال القومية العربية الذي ولد في النصف الأول من القرن العشرين سيصبح في النصف الثاني منه بدراً كاملاً .

جميل صليبا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net